الخطبة السابعة والستون

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ [الأعراف: 7/ 189]

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِنَّ الْحَمْد للهِ، نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِهِ اللهُ فَلا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يُضْلِلْ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

أَمَّا بَعْدُ:

فَإِنَّ خَيْرَ الْكَلَامِ كَلَامُ اللهِ تَعَالَى، وَخَيْرَ الْهَدْيِ هَدْيُ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَشَرَّ الْأُمُورِ مُحْدَثَاتُهَا، وَكُلُّ مُحْدَثَةٍ بدعة وَكُلُّ بِدْعَةٍ ضَلَالَةٌ، وَكُلُّ ضَلَالَةٍ فِي النَّارِ.

قال تعالى: ﴿۞ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ [الأعراف: 7/ 189]، وقال تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الروم: 30/ 21]. قال تعالى: في الآيتين: ﴿لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ -﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا﴾والسكن مكان الراحة والسعادة والسرور والطمأنينة، ولما قال سبحانه: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ بصيغة المفرد؛ جاء السبب: ليسكن إليها، ولما جاءت الآية بصيغة الجمع: ﴿أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟﴾ أيضاً بالجمع، ولكن قال: إليها ولم يقل: إليهن؛ ففي كلتا الآيتين جاءت إليها، والله أعلم بالمراد، ويمكن أن يكون ذلك من تعظيم فعلها، أو أنها الأساس في السكنى، وقد يُفهم أنه لا سكنى بدونها -والله أعلم-.

العلاقة بين الذكر والأنثى علاقة مقدسة، وسمّاها الله تعالى ميثاق، فقال سبحانه: ﴿وَأَخَذْنَ مِنكُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ﴿٢١﴾﴾ [النساء: 4/ 21]، الزواج: ﴿مِّيثَٰقًا غَلِيظًا﴾ أي: أنه عهد له قيمة كبيرة ومسؤولية، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «أحق الشروط أن توفوا به ما استحللتم به الفروج» البخاري (2721) - مسلم.

(1418)، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوْفُواْ بِٱلْعُقُودِ﴾ [المائدة: 5/ 1]، وقال تعالى: ﴿وَأَوْفُواْ بِٱلْعَهْدِ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾﴾ [الإسراء: 17/ 34].

فالزواج سنّة الله في خلقه، وسنّة الحياة، ولا تستقيم الحياة إلا به، والأمر الطبيعي أن يكون للإنسان زوجة وشريكة له في حياته يسعد بها وتسعد به، ويتعاونان على الحياة وإنجاب الأولاد، قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [النحل: 16/ 72]، وقال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَٰجًا﴾ [فاطر: 35/ 11]، وقال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَآءً ۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ ٱلَّذِى تَسَآءَلُونَ بِهِۦ وَٱلْأَرْحَامَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴿١﴾﴾ [النساء: 4/ 1]، وأمر رسول الله بالزواج فقال: «يا معشر الشباب، من استطاع منكم الباءة فليتزوج فإنه أغض للبصر وأحصن للفرج، ومن لم يستطع فعليه بالصوم فإنه له وجاء» البخاري (5066)- مسلم (1400)، وعن ابن عمر رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «تزوجوا فإني مكاثر بكم الأمم يوم القيامة» ن - د - حم، وفي الترمذي أن رسول الله قال: «ثلاثة حق على الله عونهم:

1. المجاهد في سبيل الله.
2. والمكاتب يريد الأداء.
3. والناكح يريد العفاف» ت - حب - ك، يريد العفاف لنفسه ولزوجته، يريد العفاف حتى لا تتفشى الفاحشة، يريد العفاف حفاظًا على نظافة المجتمع وحفظ النسل وحفظ الأعراض، وحفاظًا على الروابط الأسرية، وتطبيقًا لشرع الله تعالى وخوفًا من الحرام وخوفًا من عقاب الله وخوفًا من الخزي يوم القيامة.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «تُنْكَحُ المَرْأَةُ لأَرْبَعٍ: لِمالِها، ولِحَسَبِها، وجَمالِها، ولِدِينِها، فاظْفَرْ بذاتِ الدِّينِ، تَرِبَتْ يَداكَ» البخاري ومسلم.

كثير من الشباب يخلطون بين الشهوة (والجنس) وبين ما يسمى: بالحب، فترى الشباب يلهثون وراء ذات الجمال أو الجاذبية أو أو أو ... ومن ذلك تتولد شهوة الجنس، ويحسبون أنفسهم أنهم وقعوا في الحب وأن ذات العينين الجميلتين

أو القوام الرشيق هي صاحبة النعمة وصاحبة السعادة، ويحسبون أن الحياة الهانية معها والسعادة المطلقة التي ما بعدها سعادة. هذا الخلط وهذا الالتباس هو أساس المشكلة، وهو أساس كثرة الطلاق وتشرد الأبناء ووجود جيل فاسد، لأنه نشأ في بيئة فاسدة، وبيت غير مترابط أو بيت فيه خلافات ومشادّات ونزاعات، بيت ليس فيه سكنى ولا مودة ولا رحمة، لذلك لما قال عليه الصلاة والسلام: «فاظفر بذات الدين»؛ فلأن الدين هو الأساس لوجود السكنى والمودة والرحمة، تربت يداك أي: افتقرت يداك وأصبحت مليئة بالتراب، أي: لا شيء له قيمة إن لم تختر ذات الدين، إذا لم تختر ذات الدين افتقرت وأفلست لأنه لا سكنى لك ولا راحة ولا طمأنينة، فالجمال يذبل، والمال قد يذهب والحسب والنسب ليس من قوام البيت ولا من أساساته الأصلية التي لا يكون الزواج السعيد إلا بها، أما الدين والخوف من الله والتقوى وطاعة المرأة لزوجها طمعاً في رحمة الله ورضوانه، وحرصها عليه وعلى شرفه وأولاده وماله تطبيقاً لدينها، وخوفاً من ربها، واحتساب الأجر عند الله تعالى وطمعاً في جنة عرضها السموات والأرض، فهذا كله الأساس والأصل في الزواج السعيد، فعن عبد الله بن عوف رضي الله عنه أن رسول الله قال: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها قيل لها: ادخلي الجنة من أي أبواب الجنة شئت» حم - حب - البزار - صحيح الجامع.

وقال تعالى: ﴿فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ [النساء: 4/ 34]، ﴿قَٰنِتَٰتٌ﴾ أي: مطيعات لله ولأزواجهن، قول ابن عباس رضي الله عنه: ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ أي: لأنفسهن وشرفهن وعفتهن في حال غيبة أزواجهن، وحافظات لواجبهن تجاه أزواجهن في أموالهم وأولادهم، ﴿بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُ﴾ أي: أن الله حفظهن ورعاهن بحفظهن لأنفسهن، وأن الله سبحانه يحميهن ويوفقهن ويُسعدهن جزاءً لطاعته وطاعة أزواجهن، فقد وصفهن بالقانتات، أي: المطيعات له ولأزواجهن، فحفظهن ورعاهن لأن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

وقال النووي وقتادة: وهذا معنى من معاني قوله تعالى: ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾؛

فلا تفضح عيوبه لأهلها وأصحابها ولا تعيره ولا تكشف سره ولا تهتكه ولا تقول بما ينقص مكانته ومهابته، وكذلك هو يصونها ويرعاها ويجبر خاطرها، وبعضهم قال في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسْتَـْٔجِرْهُۖ إِنَّ خَيْرَ مَنِ ٱسْتَـْٔجَرْتَ ٱلْقَوِيُّ ٱلْأَمِينُ ﴿٢٦﴾﴾ [القصص: 28/ 26]، القوي في جسمه، القوي في عقله، القوي في إيمانه، القوي في ثقته بنفسه، الأمين في ماله ومال غيره، الأمين على أعراض الناس وسمعتهم وأموالهم، الأمين في بصره وسمعه ولسانه، فإذا كان قويًا أمينًا في حقوق الناس فهو في حقوق زوجته أقوى وآمَن. (صالحات): مطيعات لله تعالى، (قانتات): وقّافات عند حدود الله، ﴿حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ﴾: مطيعات لأزواجهن في غيابهن، تحفظ مالها وعيالها وبيتها ولسانها ونظرها ونفسها، وهذا من حفظ الله لها وفضله، لأن النفس أمارة بالسوء، والشيطان يوسوس، وشياطين الإنس توسوس وتفسد وتدخل الشكوك على القلب، فإذا تغلبت على كل هذا، كان هذا من فضل الله وحفظه ورعايته لها.

وفي قوله تعالى: ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَاۖ﴾ [الأعراف: 7/ 189]، فهي زوجة حين تجده هو زوجًا قويًا أمينًا صائنًا لها حاميًا لها في دينها ودنياها، لا حين تجد ماله فقط، وهي زوجة تتممه ولا تنقصه، وتكمله وتلائمه لا حين تختلف عليه ومعه؛ فبذلك يتم المعنى: ﴿مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ وتكون: ﴿وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾، وجاء في الحديث: «إذا جاءكم من ترضون دينه وأمانته فزوجوه إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير» الترمذي (1084) - ابن ماجه (1967)، أمانته تنبع من دينه، أمينًا عليها وعلى حقوقها وعلى معاملتها وعلى دنياها وآخرتها، أمينًا على سعادتها، وقد روي عن ابن مسعود رضي الله عنه قوله: «يأتي على الناس زمانٌ يكون حلال الرجل على يد زوجته وأبيه وولده، يعيرونه بالفقر، ويكلفونه ما لا يطيق، فيدخل المداخل التي يذهب فيها دينُه فيهلِك» رواه الخطابي في كتاب العزلة ص (16)، والبيهقي في الزهد الكبير (439) عن أبي هريرة.

خطب عبد الملك بن مروان أمير المؤمنين بنت سعيد بن المسيب لابنه ولي العهد الوليد بن عبد الملك، وبعث له بهشام بن اسماعيل ليخطبها، وخوَّفَ هشام سعيد بن المسيب من الخليفة إذا هو رفض، وقدم له وأخر الكثير، ولكن أبا

محمد سعيد بن المسيب ردّه أعنف الرد، وجلس الشيخ إلى حلقته يُدرس الناس، وكان من بين تلامذته رجل يُقال له: عبد الله بن أبي وداعة، وكان قد تخلف عن درس الشيخ أياماً، فجاء الحلقة فسأله الشيخ عن سبب غيابه، فقال: إن زوجته قد ماتت فانشغل بها، فسأله الشيخ عن عزمه في الزواج، فقال عبد الله: يا أبا محمد أنا رجل فقير ولا أملك من الدنيا الكثير أو القليل فمن يزوجني؟ قال الشيخ: أنا. ودارت الدنيا برأس عبد الله بن أبي وداعة على هذا الشرف الكبير، وإذا بالشيخ يقول: قم فادعُ بعض الأنصار، فلما جاؤوا، حمد الله وأثنى عليه وزوجه على مهر بثلاثة دراهم، وذهب عبد الله إلى بيته ليصلح من حاله وشأنه، وإذا بالباب يدق ويفتحه وإذا بالشيخ على الباب يقول: إني كرهت أن تبيت وحدك وهذه امرأتك. قال عليه الصلاة والسلام: «إن أعظم النكاح بركة أيسره مؤونة» حم - البيهقي في شعب الإيمان، أي: أن مهرها يسير، وكلفة زواجها يسيرة. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلۡحِجَارَةُ عَلَيۡهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٞ شِدَادٞ لَّا يَعۡصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمۡ وَيَفۡعَلُونَ مَا يُؤۡمَرُونَ ٦﴾ [التحريم: 66/ 6]، ﴿قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا﴾: اتقوا الشرك والمشركين، واتقوا الأفكار الضّالة المُضِلّة، اتقوا معاشرة أهل الفسوق، اتقوا الحرام والآثام وما يؤدي إليها، تعودوا العادات الصالحة، كقراءة القرآن، وقيام الليل، وتفسير كتاب الله، وتعلم العلم الشرعي... تعلموا أن لا تستغيبوا أحداً ولا تتكلموا خلفه بما لا يليق، عليكم بإصلاح عيوبكم وترك عيوب الآخرين، عليكم بحل مشاكلكم مع بعضكم بدون تدخل ولا إدخال أحد ولا أن يطّلع على خلافاتكم أحد. على الزوج والزوجة إرضاء الطرف الآخر وفعل ما يسره والتجمل له والتطيب له، ولا يرى ولا يسمع ولا يشم إلا ما يرضيه. على الطرفين احترام الأهل والقيام بواجبهم والتلطف والتظرف لهم. إياكم والفحش والتفحش والكلام غير اللائق، ورفع الصوت والسباب والشتائم فهذه منقصة لكم ولأهليكم ولأولادكم، وقدوة غير حسنة وغير صالحة، مراعاة الناحية المادية للرجل، وعدم إحراجه بتكليفه ما لا يطيق؛ فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله: «ما استفاد المؤمن بعد

تقوى الله عز وجل خيراً له من زوجة صالحة، إن أمرها أطاعته، وإن نظر إليها سرته، وإن أقسم عليها أبرته، وإن غاب عنها نصحته في نفسها وماله» ابن ماجه، وعن محمد بن سعد بن أبي وقاص عن أبيه أن رسول الله قال: «ثلاث من السعادة: المرأة الصالحة تراها تعجبك، وتغيب فتأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون وطئة فتُلحقك بأصحابك، والدار تكون واسعة كثيرة المرافق. وثلاث من الشقاء: المرأة تراها فتسوءك وتحمل لسانها عليك، وإن غبت لم تأمنها على نفسها ومالك، والدابة تكون قطوفاً فإن ضربتها أتعبتك، وإن تركتها لم تلحقك بأصحابك، والدار تكون ضيقة قليلة المرافق» رواه الحاكم.

فعلاقة الزوج بزوجته علاقة مبنية على الحب والاحترام والصدق والوفاء والثقة، حتى في المجتمعات الكافرة، إن لم يكن هناك وفاء وصدق وحب واحترام لا تستمر العلاقة، لكن الفرق في الأسرة الإسلامية المؤمنة فالحب والاحترام والوفاء والصدق، لأن هذا أساس العلاقة بين الزوج وزوجته وبينهما وبين الله تعالى، خوفاً منه وخوفاً من عقابه وطمعاً برحمته وجنة عرضها السموات والأرض.

وكان عليه الصلاة والسلام يلاعب زوجاته، عن عائشة رضي الله عنها قالت: قال لي رسول الله: «تعالي أسابقك. فسابقته فسبقته على رجلي، وسابقني بعد أن حملت اللحم وبدنت فسبقني، وجعل يضحك وقال: هذه بتلك» أبو داود.

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: «يا رسول الله كل نسائك لها كنية غيري، فكناها عليه الصلاة والسلام: أم عبد الله» رواه أحمد، وقال عليه الصلاة والسلام: «وفي بضع أحدكم صدقة، قالوا: يا رسول الله، أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر، قال: أرأيتم لو وضعها في حرام، أكان عليه وزر، فكذلك إذا وضعها في حلال كان له أجر» مسلم.

كُلُّ الحوادثِ مبداها منَ النَّظَرِ ... ومُعظَمُ النارِ مِن مستَصْغَرِ الشَّرَرِ

كم نظرةٍ فتكت في قلبِ صاحِبِها ... فَتْكَ السِّهامِ بلا قوسٍ ولا وَتَرِ

وقال آخر في الرجاء من الله تعالى:

يا مَن أَلُوذُ بِهِ فيما أُؤَمِّلُهُ ... وَمَن أَعوذُ بِهِ مِمّا أُحاذِرُهُ

لا يَجبُرُ الناسُ عَظماً أَنتَ كاسِرُهُ وَلا يَهِيضونَ عَظماً أَنتَ جابِرُهُ

اللهم اغفر لنا وارحمنا ووفقنا لما تحب وترضى، اللهم بارك لنا في أزواجنا وأولادنا وذرياتنا، اللهم اغفر لنا إسرافنا في أمرنا، واغفر لنا تقصيرنا في عبادتك وحمدك وشكرك، اللهم إنا نسألك من خير ما سألك به حبيبك ونبيك محمد، ونستعيذ بك مما استعاذك منه حبيبك ونبيك محمد، اللهم إنا نسألك من الخير كله عاجله وآجله ما علمنا منه وما لم نعلم.

وَلَمّا قَسا قَلبي وَضاقَت مَذاهِبي جَعَلتُ الرَجا مِنّي لِعَفوِكَ سُلَّما

الخطبة الثانية:

ومن أهم الصفات التي يجب أن تتحلى بها العلاقة الأسرية: الصبر والتضحية، فالحياة ليست على وتيرة واحدة فهناك المرض والفقر والمصائب والنوازل، والأصل هو قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ ۝٤﴾ [البلد: 90/ 4]، فكلا الزوجين بحاجة إلى كتف يسندون عليه رؤوسهم عند المصائب، لا بد من شريك يساندك ويؤازرك بمحبة وصدق وإخلاص ووفاء لك وخوف من الله وطمعاً برحمته.

فعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان النبي إذا ذكرت خديجة رضي الله عنها أثنى عليها فأحسن الثناء، قالت: فغرت يوماً فقلت: ما أكثر ما تذكرها! حمراء الشدقين، قد أبدلك الله عز وجل خيراً منها، فقال عليه الصلاة والسلام: «والله ما أبدلني الله عزوجل خيراً منها؛ قد آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله عز وجل منها الولد إذ حرمني أولاد النساء» البخاري – مسلم – حم.

فهل رأيت الصدق والوفاء والصبر والتضحية، وهل رأيت اعترافه عليه الصلاة والسلام بجميلها وفضائلها وصبرها وصدقها ومواساتها رضي الله عنها وأرضاها، وأثبت عليه الصلاة والسلام لها الخيرية والمقام العالي؛ لأن الله سبحانه وتعالى أثبت لها ذلك، فعن أبي هريرة قال: «أتى جبريل عليه السلام إلى النبي فقال: يا رسول الله، هذه خديجة قد أتت معها إناء فيه إدام أو طعام أو

شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب لا صخب فيه ولا نصب» البخاري.

أعود فأقول: يجب على الشباب أن يفرقوا بين الشهوات والنزعات الجنسية وبين الحب الحقيقي الذي تتمتع به الزوجة الصالحة، حيث أنه بهذا الحب تتحقق السكنى والرحمة والمودة، عندما ترعاك زوجتك في مرضك أو العكس محبة وصبراً وتضحية من القلب وليس واجباً، من القلب حقيقة، تشعر بدفئها وحنانها، هذه هي السكنى والمودة والرحمة، عندما تحضر لك طعامك أو العكس، تضع فيه من حبها وحنانها محبة ورضاً تأكله أنت بالهناء والشفاء، هذه هي السكنى والمودة والرحمة، هذا هو الحب، تسمع منها الكلمة الطيبة، وترى منها البسمة الطيبة الجميلة والمعاملة المفعمة بالحب والحنان، هذه هي السكنى والمودة والرحمة. وإذا غضب أحد الزوجين أو تشاجرا -وهذا لا بد منه- فانظر إلى ما قاله عليه الصلاة والسلام إذ قال: «أَلا أُخْبِرُكُمْ بِرِجَالِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ النَّبِيُّ فِي الْجَنَّةِ، وَالصِّدِّيقُ فِي الْجَنَّةِ، وَالشَّهِيدُ فِي الْجَنَّةِ، وَالرَّجُلُ يَزُورُ أَخَاهُ فِي اللهِ فِي جَانِبِ الْمِصْرِ فِي الْجَنَّةِ. أَلا أُخْبِرُكُمْ بِنِسَائِكُمْ مِنْ أَهْلِ الْجَنَّةِ؟ الْوَلُودَ الْوَدُودُ الَّتِي إِذَا ظَلَمَتْ هِيَ أَوْ ظُلِمَتْ قَالَتْ: هَذِهِ يَدِي فِي يَدِكَ، لا أَذُوقُ غَمْضاً حَتَّى تَرْضَى» سنن النسائي- طب.

بربك أليس هذا هو الحب الحقيقي والذي جزاؤه الجنة؟ لأنه قال: «ألا أخبركم بنسائكم من أهل الجنة»، فهذه الزوجة بحبها لزوجها وحفاظها عليه وعلى شعوره رغم أنها على حق وهو الذي أساء إليها، جاءت بدون مناكدة ولا نفخ شيطان في صدرها، ولا دعاها الشيطان وحظ النفس إلى معاندته وإيذائه، وإنما جاءت بنفس طيبة مطمئنة وتضع يدها في يده وتقول: لا أنام ولا أغفل حتى ترضى. فرضي الله عنها وجعلها في جنته، فهذا هو الحب وثمرته هي الجنة، لذلك قال عليه الصلاة والسلام للمرأة: «فانظري أين أنت منه؟ فإنما هو جنتك ونارك» حم - البيهقي.

لهذا قال تعالى: ﴿وَلَأَمَةٌ مُّؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ ۗ وَلَا تُنكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا ۚ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ۗ﴾ [البقرة: 2/ 221].

وأقول للشباب حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي قال: «استوصوا بالنساء خيراً» البخاري ومسلم، وعن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله: «خيركم خيركم لأهله، وأنا خيركم لأهلي» سنن الترمذي (3895)، وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه عن النبي قال: «إنك لن تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أُجرت عليها حتى ما تجعل في فيِّ امرأتك» رواه البخاري.

وقال تعالى: ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴿١٩﴾﴾ [النساء: 4/ 19]، وقال تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ [البقرة: 2/ 237]، فأمر الله سبحانه بحسن العشرة وحسن الصحبة ولو أن هناك كراهية، لكن انظر إلى الجانب الإيجابي، هي زوجتك وهي شريفة وعفيفة ساترة لعيوبك تقوم برعايتك ورعاية أولادك، فيها من الخصال الحميدة الكثير فلا تتركها لخلاف صغير وتهدم عش وبيت الزوجية وتضيّع أولادك في سبيل نزوات، لذلك قال سبحانه: ﴿وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾. ولكن إذا كان الطريق مسدوداً والمشاكل لا تُحتمل ولا بد من الطلاق، جاء الأمر الثاني من الله تعالى: ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾، إياك إياك أن تتنكر للمعروف الذي قَدَّمَتْه أو تتنكر للخير الذي كان بينكما! وإياك وعدم الوفاء لها! وإياك والكذب! إياك والفضيحة! إياك أن تهضم حقها من المهر أو النفقة! وإياك أن تسيء إلى سمعتها وشرفها، تحذير من الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢٣٧﴾﴾ [البقرة: 2/ 237].

العلاقة الزوجية كالسيارة؛ فالسيارة لا تمشي بدون وقود، والعلاقة الزوجية تحتاج إلى وقود، **ووقودها**: الكلمة الطيبة التي تحمل حبًا وصدقًا، فهذا رسول الله يسأله عمرو بن العاص رضي الله عنه: «من أحب الناس إليك؟ قال: عائشة رضي الله عنها، فقلت: من الرجال؟ قال: أبوها، قلت: ثم من؟ قال: عمر بن الخطاب، فعدّ رجالاً...» البخاري (3662) - مسلم (2384)، وقال عليه الصلاة والسلام: «وإن فضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام» البخاري (3411) - مسلم (2431).

الكلمة الطيبة تزيد في الحب وتُسعد الحياة، وهذا رسول الله يقول لعائشة رضي الله عنها: «أما ترضين أن تكوني زوجتي في الدنيا والآخرة؟ قالت: بلى والله، قال: فأنت زوجتي في الدنيا والآخرة» ك - صححه الذهبي والألباني. **ووقودها** أيضاً: القبلة والمداعبة، ولو كان صائماً كما ورد في صحيح مسلم وغيره، **ووقودها** أيضاً: أن تمسك يدها وتمشي معها وتحادثها وتستمع إليها، وتخرج بها ليلاً كما في حديث أم زرع، **ووقودها** أيضاً: أن تساعد أهلك أي زوجتك في البيت وفي المطبخ، فعن الأسود قال: سألت السيدة عائشة رضي الله عنها، ما كان النبي يصنع في بيته؟ قال: يكون في مهنة أهله (تعني خدمة أهله)، فإذا حضرت الصلاة خرج) البخاري (676)، قوله: (تعني خدمة أهله)؛ هذا شرح آدم بن إياس شيخ البخاري، كما جاء في الفتح، ووقودها غض الطرف والتغافل عن الأخطاء والهفوات. جاء أبو العاص بن الربيع وأمه هالة أخت خديجة، يطلب يد زينب بنت النبي قبل البعثة، فقال عليه الصلاة والسلام: (لا أفعل حتى أستأذنها) -انظر إلى الاحترام والحق الذي للبنات- فاحمرّ وجه زينب لما سألها رسول الله وابتسمت، وهذا دلالة على الرضا، وتزوجت زينب أبا العاص، وأنجبت منه علياً وأمامة، ولما بُعث رسول الله أسلمت خديجة وبناتها، وكان أبو العاص في تجارته إلى الشام فلما عاد أخبرته زينب بإسلامها وإيمانها، فقال لها: لن أؤمن بأبيك ولا برسالته وخرج مغضباً، قالت له: ما كنت لأُكذب أبي، وما كان كذاباً، إنه الصادق الأمين، وأسلم ابن عمي علي بن أبي طالب، وأسلم ابن عمتك عثمان بن عفان، وأسلم صديقك أبو بكر الصديق، فقال لها: أما أنا لا أحب الناس أن يقولوا: خذل قومه وكفر بآبائه إرضاءً لزوجته، وما أباك بمتهم، فقابله سادات قريش وقالوا له: طلقها كما فعل عتبة وعتيبة أولاد أبي لهب، إذْ طلقا أم كلثوم ورقية بنات النبي، وكان في كلامهما قلة أدب وغلظة، وأصروا على أبي العاص فقال: لا والله لا أفارق صاحبتي ولا يعوضني عنها أن لي أفضل امرأة في قريش، واستأذنت زينب أن تبقى مع زوجها، حب ورعاية ومودة فأذن لها رسول الله، وجاءت غزوة بدر فخرج أبو العاص مع قومه لقتال النبي، وقد كانت زينب تخاف من هذا الموقف، فكانت

تبكي وتقول: اللهم إني أخشى من يوم تشرق شمسه فييتم ولدي أو أفقد أبي، وتنتهي المعركة ويقع أبو العاص بن الربيع أسيراً في أيدي المسلمين، وتسجد زينب شكراً لله بانتصار المسلمين، وفدت زينب زوجها بقلادتها التي أعطتها إياها خديجة يوم زواجها، وأرسلتها مع شقيق أبي العاص إلى الرسول وكان رسول الله جالسًا يتلقى الفدية ويطلق الأسرى، وحين رأى عقد السيدة خديجة سأل: هذا فداء من؟ قالوا: هذا فداء أبي العاص بن الربيع بعثت به زينب فداء لزوجها، فبكى النبي وقال: هذا عقد خديجة، ثم نهض عليه الصلاة والسلام وقال: أيها الناس إن هذا الرجل (أي: أبا العاص بن الربيع) ما ذممناه صهراً، فهلَّا فككتم أسره؟ وهلّا قبلتم أن تردوا إليها عقدها؟ فقالوا: نعم يا رسول الله، فأعطى رسول الله العقد لشقيق أبي العاص وقال له: قل لزينب لا تفرطي في عقد خديجة، واشترط عليه رسول الله أن يفارق زينب ويرجعها إلى المدينة مع أولادها علي وأمامة، وفعل ذلك أبو العاص، وقالت له: فهل لك أن ترافقني وتسلم؟ فقال: لا، ورجعت زينب إلى المدينة مع ولديها، وبقيت في كنف رسول الله ست سنوات، والخطّاب يتقدمون لخطبتها على مدى ست سنوات، وكانت ترفض محبة لزوجها أبي العاص بن الربيع، وكانت تدعو وتأمل بأن يعود لها زوجها، وبعد ست سنوات خرج أبو العاص بتجارة وقافلة من مكة إلى الشام، ولما عاد برزت له سرية من المسلمين فهرب، فلما كان الليل سأل عن بيت زينب وطرق بابها قبيل آذان الفجر، فسألته: أجئت مسلمـًا؟ قال: لا، بل جئت هاربـًا، فقالت: هل لك أن تُسلم، قال: لا، قالت: لا تخف، مرحبـًا بابن الخالة، مرحبـًا بأبي علي وأمامة، وقام رسول الله والصحابة لصلاة الفجر، وإذا بصوت يأتي من آخر المسجد: (قد أجرت أبا العاص، قد أجرت أبا العاص) فلما قضى رسول الله الصلاة، قال: هل سمعتم ما سمعت؟! قالوا: نعم يا رسول الله، وجاءت زينب وقالت: يا رسول الله إن أبا العاص إن بَعُدَ فابن الخالة، وإن قَرُبَ فأبو الولد، وقد أجرته يا رسول الله، فوقف رسول الله وقال: يا أيها الناس إن هذا الرجل ما ذممته صهراً، وإن هذا الرجل حدثني فصدقني، ووعدني فوفى لي، فإن قبلتم أن تردوا له ماله وتتركوه أن يعود إلى بلده فهذا

أحب إلي، وإن أبيتم فالأمر إليكم والحق لكم ولا ألومكم عليه، فقال الناس: بل نعطه ماله يا رسول الله، فقال النبي: قد أجرنا من أجرت يا زينب، وقال لها: أكرمي مثواه فإنه ابن خالتك وإنه أبو العيال، ولكن لا يقربنّك فإنه لا يحل لك، ودخلت زينب على أبي العاص وقالت: أهان عليك فراقنا، هل لك أن تسلم وتبقى معنا؟ قال: لا، وأخذ ماله وعاد إلى مكة ولما وصل مكة قال: أيها الناس هذه أموالكم، هل بقي لكم شيء؟ فقالوا: جزاك الله خيراً، وفيت أحسن الوفاء، قال: فإني أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، ثم عاد إلى المدينة ودخلها فجراً وتوجه إلى النبي فقال: يا رسول الله أجرتني بالأمس واليوم جئت أقول: أشهد أن لا إله إلا الله وأنك رسول الله، وقال: يا رسول الله هل تأذن لي أن أراجع زينب؟ فأخذه النبي وأتى بيت زينب وطرق الباب وقال: يا زينب إن ابن خالتك جاءني يستأذنني أن يراجعك، فهل تقبلين؟ فاحمر وجهها وابتسمت. وماتت زينب بعد ذلك بسنة؛ فبكاها أبو العاص بكاءً مُرّاً، وصار رسول الله يمسح دموعه ويهون عليه، ويقول له أبو العاص: والله يا رسول الله ما عدت أطيق الدنيا بغير زينب ومات بعدها بسنة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

وصلِّ اللهم وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه